يجب على الله رعاية مصالح عباده بل انما نقول ذلك عادة الحق وشرعته
المستمر فعلمها مع عباده على سبيل التفضيل فليت شعري اذا قالوا الواجب على
الله رعاية مصالح عباده فمن هو الموجب عليه ثم انا نظرنا فراينا كل
ماموربه او مندوب اليه يستلزم الجمع على الله تعالى وكل منهي عنه
او مكروه يتضمن التفرقة عنه فاذا مطلوب الله من عباده وجود الجمع
عليه لكن الطاعات هي اسباب الجمع ووسايله فلذلك امر بها والمعصية
هي اسباب التفرقة ووسايلها فلذلك نهى عنها واما الفرايض الظاهرة فلا
تنفك عن فروض باطنة والفرايض الباطنة شروطها وممدة لها وبين
الفروض الظاهرة والباطنة ما بين الباطن والظاهر وانهم هاهنا قوله عليه
السلام نية المومن خير من عمله وكذلك الذنوب الباطنة صغايرها وكبايرها
اشد من الذنوب الظاهرة صغيرها من صغيرها وكبيرها من كبيرها ولما كانت
الفرايض اقتضاها الحق من عبده اقتضا الزام حتم عليه لم يدخل العبد فيها
الا باختيار الله له فاندمغ هوى العبد فيها لان الله سبحانه وتعالى وقت
اعدادها وامادها واسبابها فلما كان ذلك كان قيام العبد فيها مقتطعا
عن اختيار لنفسه رجاعا الى اختيار الله تعالى له فاوجب من القرب من الله
ما لم يوجبه غيرها فلذلك قال تعالى ما تقرب الى المتقربون بمثل اداء
ما افترضت عليهم ثم قال وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه
فاعلم ان النوافل هي الزيادة ولذلك وسمي النفل نفلا وهو ما ينفله الامام لمن
يراه زايدا على نصيبه من الغنيمة وقال الله سبحانه وتعالى ومن الليل فتهجد
به نافلة لك اي زيادة لك من فضلنا على ما اقتضته الفرايض لك واعلم ان الحق
سبحانه وتعالى لم يوجب شيا من الواجبات غالبا الا وجعل من جنسه نافلة
حتى اذا قام العبد بذلك الواجب وفيه خلل مّا جبر بالنافلة التي هي من
ولذلك جاء في الحديث انه ينظر في صلاة العبد فان قام بها كما امره الله
تعالى جوزي عليها واثبتت له وان كان فيها خلل كملت من نافلته حتى قال
بعض اهل العلم انما تثبت لك نافلة اذا اسلمت لك الفريضة ولما علم الله

تعالى

تعالى ان في عباده المومنين اقويا وضعفا كما جا في الحديث المومن
القوي خير واحب الى الله من المومن الضعيف وفي كل خير فسح على الضعفا
بالاكتفا بالواجبات وفتح على الاقويا باب نوافل الخيرات فنهض
بعضهم الى القيام بالواجبات خوف عقوبته فقاموا لها تخليصا لانفسهم
من وجود الهلكة وملاقاة العقوبة فما قاموا لله بشي قاله ولا طلبا للوفاء مع
ربوبيته فلو قوبلوا بالمحاققة لم يقبل منهم في مهم هذا فانهم لم ينهضوا
الا لاجل نفوسهم ولم يطلبوا الا حظوظهم فقاموا الواجبات الى الله بجر وربط السلاسل
الايجاب لذلك جا في الحديث عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل
واما العباد الاخرون فعندهم من غليان الشغف ووجود الحب ما ليس
يكفيهم الواجبات بل فلو بهم متقلبة الى الله من عوايق هذه الدار فلو لم
يحجر عليهم التنفل بالصلوات في اوقات النهي لسرمدوا الاوقات بها ولحملوا
انفسهم فوق ما يطيقون ومما يدلك ان الناس انقسموا على هذين القسمين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث بادروا بالاعمال سبعا
هل ينتظر احدكم الا غنا مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا
او موتا مجهزا او الدجال فشر غايب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر
فهذا الحديث يقتضي ايضا الهمم الى معاملة الله تعالى والحث على المبادرة الى طاعته
ومسابقة العوارض والقواطع قبل ورودها هذا خطاب للفريق الاول فطالبهم
الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة بالاعمال وجاءت احاديث اخر امر
للعباد بالاقتصاد في الطاعة لئلا يطيعوا باعث الشغف فيحملوا انفسهم
فوق ما يطيقون فيودي ذلك الى عجزهم عن طاعة الله او قيامهم فيها بوجود
التكلف فقال صلى الله عليه وسلم اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل الله حتى تملوا
وقال القصد القصد تبلغوا وقوله ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق
وقوله ولا تبغض الى نفسك عبادة الله ومثل القايم بالواجبات المكتفي بها
والنوافل معها كمثل عبدين خارجهما الملك على اربعة دراهم كل يوم فاما
احداهما فقام بها ولم يزد واما الاخر فقام بها وعمد الى طرف الفواكه

ابهم

Copyright © King Saud University